تاريخياً، ولكنها تظل من نتاج الغرب الأوروبي وحضارته. وقد ظهرت هذه الخبرات عقب إنطلاق المدّ الأوروبي الاستعماري على أثر الكشوف الجغرافية. ويميز الدارسون، في هذا الاطار، بين نموذجين أساسيين للاستعمار الاستيطاني: أولهما، النموذج اللاتيني؛ وثانيهما النموذج الأنجلو ـ سكسوني. في النموذج اللاتيني، تعامل المستعمرون مع السكان الأصليين بأسلوب لم يسلك طريق الابادة العامة، ومن أمثلته ما حدث في اميركا اللاتينية والجزائر. أمّا النموذج الأنجلو ـ سكسوني، فقام على إحلال المستوطنين المستعمرين محل الأهالي الأصليين بعد إبادتهم تماماً، أو عزلهم، مثلما حدث في استراليا والولايات المتحدة الأميركية وجنوب أفريقيا. فاذا نظرنا الى الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وجدنا أنه يجمع بين أسوأ ما في هذين النموذجين، أو النمطين، ويضيف اليهما، من عنده، ما هو أكثر سوءاً. فالاستيطان الصهيوني يشبه النموذج الأنجلو ـ سكسوني لسلوكه قدراً من أسلوب إبادة السكان الأصليين (الشعب العربي الفلسطيني)، وقدراً من أسلوب العزل الجنسي كما يحدث في جنوب أفريقيا. وأمّا الاضافة السيئة التي ينفرد بها، فهي عمليات طرد السكان الأصليين خارج الحدود بشكل جماعي بشع. وبذلك، فان الاستيطان الصهيوني هو الأكثر سوءاً، من الناحية التاريخية، ويمثّل نموذجاً بعينه[١٠].

ولكي ندرك حقيقة هذه النماذج، التي تضطلع اسرائيل بدراستها، سعياً وراء تجنّب أخطائها وتحرّي عوامل نجاحها، نلاحظ أنه، حتى العام ١٧٥٠، لم يزد عدد البريطانيين في اميركا الشمالية عن ٣٠٠ ألف، ولم يكن عدد البيض، عموماً، في المستعمرات الأسبانية في الأميركتين، حتى العام ١٨٢٠، أكثر من ٣,٢٥ ملايين من النفوس، جاء أغلبهم نتيجة للزيادة الطبيعية[١١]. غير انه مع تعمّق الانقلاب الصناعي، حدث خروج أبيض عرم من أوروبا، وبدأ صدام حقيقي شرس وهمجي بين المستوطنين والسكان الأصليين في مختلف مناطق الاستعمار الإستيطاني؛ ونجم عن ذلك آثار بعيدة في التطور السكاني لتلك المناطق. فقد أتت موجات المستوطنين المهاجرين بأسباب الموت المباشر وغير المباشر؛ إذ نقل الرجل الأبيض أمراضاً لم يعرفها الوسط البيولوجي بالمستعمرات، فحدثت أوبئة رهيبة أفنت مئات الالآف من الوطنيين. وفي الوقت عينه، وبشكل مباشر، تكفّلت الأسلحة الحديثة والكحوليات وأعمال السخرة الأوروبية بازهاق آلاف أخرى من النفوس. لقد كانت عمليات صيد الرؤوس من الرياضات المفضلة عند الرجل الأبيض (المستوطن) في أستراليا. وفي اميركا الشمالية، أرتفع شعار «الهندي الطيب هو الهندي الميت»، حتى تحول الهنود الحمر الى وجود متحفي لا يأبه له سوى بعض الانثروبولوجيين وصانعي الأفلام السينمائية. وقد كان مصير هؤلاء الوطنيين مقدوراً من البداية لسببين: أولهما، قلة أعدادهم مقارنة بالمهاجرين المتدفقين كالسيل؛ وثانيهما، ضعف مستواهم الحضاري، مقارنة بمستعمريهم المستوطنين. وهكذا شهدت اميركا الشمالية نموذج الابادة الصريحة، بينما شهدت اميركا الجنوبية نموذج الاختلاط بين السكان الأصليين وبين المستوطنين، وذلك بسبب ضخامة العدد النسبي للسكان الأصليين عند بداية الغزو الاستيطاني الأبيض. ولذلك، يصح القول ان اميركا الشمالية كانت بوتقة صهر للجنس الأبيض، أي بين المستوطنين فقط، على حين شكلت اميركا الجنوبية بوتقة صهر بين البيض والهنود والزنوج معاً. وممّا يسترعي الانتباه، في حركة الاستيطان الاوروبي والتعامل مع السكان الأصليين، تلك الحركة المزدوجة الضخمة، التي تمثّلت في إبادة السكان الوطنيين في العالم الجديد، من ناحية، ونقل السكان من افريقيا وآسيا نحو هذا العالم، من ناحية اخرى.

ويبدو أن حاجة العنصر الأبيض الى الأيدي العاملة، بعد تطوّر مناطق الاستيطان، جعله